العرب
الإثنين 2020/03/16
السنة 42 العدد 11648

احموا الملايين من الهلاك.. عنوان معركة سد النهضة

أديس أبابا تريد انتزاع دعم أفريقيا لقطع الطريق على القاهرة وتقويض مسودة الاتفاق الأميركية

أطلعت رئيسة إثيوبيا، ساهلورق زودي، الرئيس الأوغندي يوري موسيفيني على تطورات بشأن سد النهضة خلال زيارة قامت بها لكمبالا، تأتي ضمن جولة أفريقية تستهدف إشراك دول حوض النيل في تطورات الأزمة مع مصر، في خطوة وصفها مراقبون بمساعي أديس أبابا إلى انتزاع دعم أفريقي لقطع الطريق على القاهرة التي تقوم بحملة دبلوماسية مماثلة.

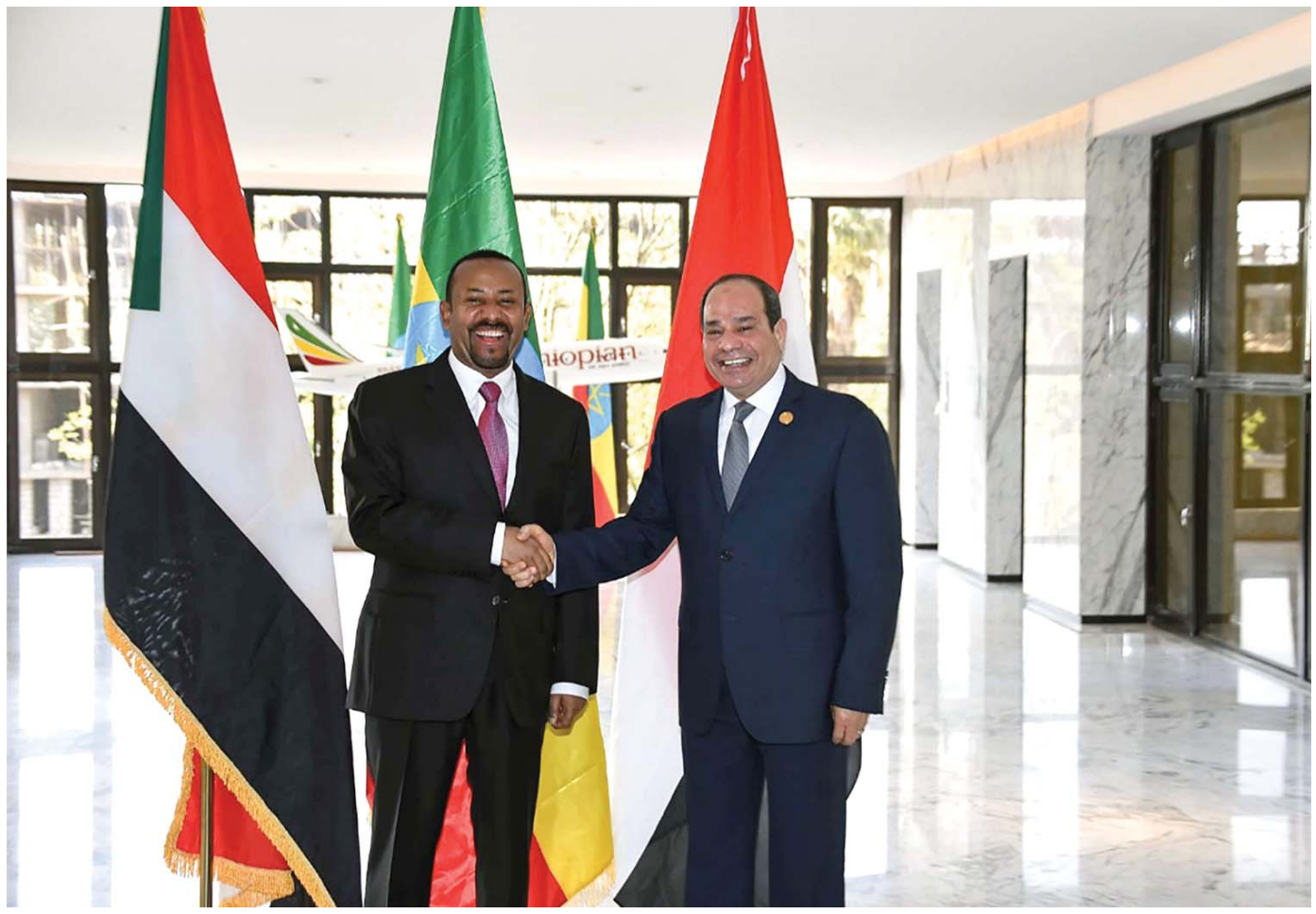

ابتسامات لا تخفي العداء

محمود زكي
كاتب مصري

القاهرة - تسعى إثيوبيا إلى مجابهة الحرب الدبلوماسية في أزمة سد النهضة عبر انتزاع دعم أفريقي.

وتحولت قضية السد إلى أزمة متعددة الأطراف بعد أن سعت القاهرة وأديس أبابا إلى إشراك أكبر قدر من الدول العربية والغربية في الأزمة. وهو ما يفرغها من مضمونها الفني على حساب السياسي.

بدأت إثيوبيا حملة ترويجية واسعة لقضية سد النهضة لتوفير غطاء سياسي قبل البدء في عملية ملء بحيرة سد النهضة في يوليو المقبل، وقطع الطريق على مصر التي تقوم بحملة دبلوماسية مماثلة في دوائر عربية، أبدت تفهمها لموقف القاهرة.

وانطلق عدد من المسؤولين في جولات لبعض الدول ومخاطبة منظمات أفريقية متعددة، لعرض نتائج مفاوضات سد النهضة الأخيرة عليهم، مع التركيز على حصول أديس أبابا على تأييد سياسي وتلبية رغبتها في نقل عهدة المفاوضات من واشنطن إلى الدائرة الأفريقية.

وعقدت رئيسة إثيوبيا ساهلورق زودي لقاءات مع مسؤولي المفوضية الأفريقية برئاسة موسى فكي، والذي تتخذ من أديس أبابا مقرا لها، ونجحت في انتزاع تصريحات تساند موقف بلادها، وتؤيد عقد مفاوضات جديدة دون رقابة أو دعم من خارج القارة.

ودعا الرئيس الكيني أوهورو كينياتا مصر والسودان وإثيوبيا إلى ضرورة العودة إلى طاولة المفاوضات دون إشراك طرف أجنبي، والوصول إلى حل شامل ومرضي لجميع الأطراف. بدوره، دعا الرئيس الأوغندي يورى موسيفيني إلى عقد قمة أفريقية عاجلة حول حوض النيل حتى يتمكن رؤساء الدول من إجراء نقاشات صريحة حول قضايا النيل.

تناقض أثيوبي

تأتي المحاولات الإثيوبية ردا على التحرك الدبلوماسي المصري الذي بدأ مطلع مارس الجاري، وشمل زيارات مكثفة لوزير خارجية مصر سامح شكري لعدد من الدول العربية والأوروبية بغية تشكيل جبهة موحدة ضد إثيوبيا.

تعتقد إثيوبيا أنه من حقها شرح موقفها، لكنها على عكس القاهرة، اختارت التحرك جنوبا وشرح القضية للشركاء في الأزمة، وهم جيرانها بحكم الجغرافيا والمصالح السياسية والفنية.

تحمل هذه التحركات مجموعة من الرسائل السياسية، أبرزها الوصول إلى حل من داخل القارة في القضايا التي تهمها دون السماح لقوى كبرى في التدخل في ما لا يعنيها، وإعادة تشغيل مصادر المياه لصالح الشعوب الأفريقية وتحقيق تنمية مستدامة.

هنا يرد متابعون للأزمة في القاهرة، بالقول إن أديس أبابا قبلت بمبدأ التفاوض في حضور واشنطن والبنك الدوليين بإرادتها، وتنصلها الحالي مما جرى بلورته من المسودة الأميركية يعكس رغبة في استهلاك المزيد من الوقت، لأن هناك اتفاقا على المبادئ جرى توقيعه بالخرطوم في مارس 2015، وهو الذي أشار إلى الاستعانة بطرف دولي.

ومنذ تصاعد حالة التوتر بين البلدين، ركزت أديس أبابا في مختلف الفعاليات التي تشمل دولا أفريقية على ردع محاولات الهيمنة من قبل أي طرف على حساب آخر، ووقف كل سياسة تحمل نزعة توصف بـ"الاستعمارية".

وتحاول أديس أبابا ربط مصطلح "الاستعمار" بالقاهرة بصورة متكررة، وتعتمد على تبني مصر اتفاقات تقسيم المياه عام 1929 التي وضعتها بريطانيا، معتبرة الحكومة المصرية امتدادا لتلك الأدوات الاستعمارية التي فُرضت لفترات طويلة على الدول الأفريقية. تعتقد إثيوبيا بهذه الطريقة أنها تؤثر في التوجه الأفريقي العام، متجاهلة أن للقاهرة علاقات وطيدة مع هذه الدائرة، عززتها خلال رئاستها للدورة السابقة للاتحاد الأفريقي.

تلعب الحكومة الإثيوبية على البعد السياسي العاطفي، مستغلة معاناة شعوب القارة لعقود طويلة مع التنمية، بصورة حولت قضية السد من نزاع على المياه إلى معركة مقاومة وطنية ضد الاحتكار، بالتالي تخرجها من سياقها التنموي الذي لم ترفضه مصر، إلى مسار يتعلق بالهيمنة.

بدت إثيوبيا التي تتبنى لغة ذات نزعة شعبوية، تراهن على الخطابات اليمينية التي امتدت بين زعماء القارة طوال فترات الاحتلال في الستينات والسبعينات، قبل أن تندثر مع تحول النظام العالمي إلى منظومة أحادية القطب، تحكمها قواعد ليبرالية متأرجحة.

وأشار الكاتب الإثيوبي، دنيال تاي سيلاسي، في تصريح لـ"العرب"، إلى أن الحكومتين في مصر وإثيوبيا تتهمان بعضهما بمحاولة السيطرة على نهر النيل، وبسبب تلك السياسة العدائية بات كل طرف يريد أن يصنع جبهة ضد الآخر تحت شعار "احموا الملايين من الهلاك". ولفت إلى أن "تلك السياسات امتداد لأفكار زعماء مؤثرين في القارة ظهرت بعد انتهاء موجات الاحتلال في أفريقيا، مثل الزعيم المصري جمال عبدالناصر، والإثيوبي ميليس زيناوي، وهي سياسة الذعر من عودة المستعمر، وضرورة تعزيز القومية الأفريقية لحماية القارة".

وزعم أن "مصر مسؤولة عما وصلت إليه الأزمة من توتر غير مسبوق، لأنها بدأت بتدويل القضية مبكرا عندما أشركت الولايات المتحدة والبنك الدولي في مباحثات سد النهضة، ثم ضغطت لتوقيع اتفاق بصناعة أميركية، في وقت يستشعر فيه المواطنون أن واشنطن تريد خنقهم".

وألمح إلى أن القاهرة عززت من نظرة بعض الدول الأفريقية إليها على أنها تتعالى على القارة وترغب في فرض هيمنة عليها، عندما دفعت الولايات المتحدة نحو قضية سد النهضة، قائلا "مصر أخطأت مرتين، الأولى عندما أحضرت قوة كبرى ينظر إليها على أنها بلد مستعمر جديد يرغب في استنفاد ثروات القارة، والثانية لأنها رفضت الوساطة الأفريقية من البداية".

ورغم الخطاب الذي بدا مناهضا لمساندة الولايات المتحدة في القضايا الداخلية، فإن إثيوبيا أظهرت تناقضا مع استعداد الحكومة لاستقبال الدفعة الأولى من المنحة الأميركية المقدرة بخمسة مليارات دولار لتطور المنظومة الصناعية والفنية بالبلاد.

وأوضح مراقبون، أن فكرة "مناهضة الإمبريالية الأميركية" لم تعد مقبولة سياسيا، في نظام العولمة الذي تتشابك فيه المصالح، وتحتاج الدول النامية إلى دعم كبير لتحفيز اقتصادها.

أزمة حوض النيل

عكس التحرك الإثيوبي الأخير، ممارسات أخرى ومنها استغلال الورقة السياسية ذاتها التي استخدمت ضد مصر والسودان في اتفاقية عنتيبي عام 2011، حيث وضعت قواعد جديدة لاستخدام مياه النيل بين دول حوض النيل، ورفض البلدان التوقيع عليها.

وأبرز الموقف السياسي وقتها لدولتي المصب (مصر والسودان) أنه امتداد لسياسات بائدة، ما حفز تسع دول للتوقيع على الاتفاق وتفعيله كآلية لمنع هيمنة أي طرف على ثروات القارة.

وتعزز سياسة رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد، اليوم، الرامية إلى إخراج أزمة سد النهضة من إطاره الخلافي ليصبح قضية نزاع إقليمي بين مصر والدول المتشاطرة في نهر النيل.

تبدو إحدى الأزمات السياسية لسد النهضة في مسألة الأطراف الخارجية التي يمكن أن تتوسط في نقاط الخلاف، حيث حاولت إثيوبيا دون جدوى منذ دخول الإدارة الأميركية على خط الأزمة، البحث عن بدائل أخرى، ودعت إلى اعتماد جنوب أفريقيا كمراقب في المفاوضات باعتبار أن بريتوريا تتولى رئاسة الاتحاد الأفريقي حاليا.

وأضحت نظرية الحل الأفريقي سائدة على أجندة الحكومة الإثيوبية التي ترى أن أزمات القارة لا تُحل إلا داخلها، وهي ورقة أخرى تدغدغ المشاعر وتبرز الجانب الإثيوبي على أنه يقوم بدور وطني ينتمي إلى أفريقيا، والاستفادة من فوبيا، أو مخاوف، النزاع على ثروات القارة.

وقال أستاذ السياسة الدولية بجامعة القاهرة مصطفى رجب، في تصريح لـ"العرب"، إن "الممارسات الإثيوبية غير المحسوبة تهدد المنطقة ككل، بعد أن قدمت ثغرة لزيادة الأعباء على كهل القارة، وسط كم هائل من الشحن المتبادل".

دنيال تاي سيلاسي

القاهرة أخطأت حين رفضت الوساطة الأفريقية

وتابع "تلويح إثيوبيا بأنها لم ترد الاشتراك في المفاوضات في واشنطن غير دقيق، لأنها لم ترغم على المشاركة، كما أن التصريحات الأميركية على لسان وزير خارجيتها مايك بومبيو أشارت في أكثر من مناسبة إلى أنه لا توجد ضغوط على أديس أبابا، والحل يقوم على التوافق والرضا بين الأطراف المتنازعة".

وما يمكن استنتاجه، أن أديس أبابا تدرك أن توفير مظلة أفريقية لسد النهضة قد لا يكون فعالا بالقدر الكافي أمام جبهة أميركية تبدو قريبة من القاهرة، لكنها على الأقل تصنع المزيد من الجدل الذي يعطل مساعي تدويل القضية وعدم تثبيت رغبة إثيوبيا في بدء تشغيل كهرباء السد قبل نهاية العام.

عام عاشر من الصراع في سوريا: الكل خاسرون

بيروت - تدخل الحرب السورية عامها العاشر، الأحد، مخلّفة مأساة إنسانية هائلة ودمارا واسعا، فيما لم تفلح كل الجهود الدولية المبذولة في التوصل إلى تسوية سياسية للنزاع توقف معاناة المدنيين.

حين اندلعت الاحتجاجات السلمية في منتصف مارس 2011، لم يتخيل المتظاهرون أن مطالبتهم بالديمقراطية والحريات ستكون مقدمة لأكبر حروب القرن الحادي والعشرين، وأن حراكهم الذي سرعان ما واجهته قوات الأمن بالقمع سيتحول حربا مدمرة تشارك فيها أطراف عدة خصوصا مع صعود نفوذ التنظيمات الجهادية.

> 5
> ملايين طفل ولدوا في سوريا منذ اندلاع النزاع، بالإضافة إلى مليون طفل ولدوا في دول الجوار

وبعد مرور تسع سنوات، ما زال الرئيس بشار الأسد على رأس السلطة. وباتت قواته، التي تدخّلت روسيا عسكريا لصالحها عام 2015 وتتلقى دعما إيرانيا أيضا، تسيطر على سبعين في المئة من مساحة البلاد، وتعمل على توسيع نطاق سيطرتها، وحققت آخر تقدم استراتيجي في محافظة إدلب حيث سُجلت أسوأ كارثة إنسانية منذ بدء النزاع.

وتتزامن ذكرى بدء النزاع مع إطلاق روسيا الداعمة لدمشق، وأنقرة الداعمة للفصائل المعارضة، دوريات مشتركة للمرة الأولى في إدلب، تطبيقا لاتفاق على وقف إطلاق النار دخل حيز التنفيذ الأسبوع الماضي، وأوقف هجوما واسعا لقوات النظام ضد مناطق سيطرة هيئة تحرير الشام (النصرة سابقا) وفصائل معارضة أخرى أقل نفوذا.

وبلغ الهجوم ذروته مع مواجهات عسكرية بين الجيشين التركي والسوري. كما تسبب بفرار نحو مليون شخص، في أكبر موجة نزوح منذ اندلاع النزاع.

وأعلنت وزارتا الدفاع التركية والروسية، الأحد، تسيير الدورية المشتركة الأولى على الطريق الدولي "أم فور" الذي يربط محافظة اللاذقية الساحلية بمدينة حلب، مرورا بإدلب.

وتظاهر نحو 200 شخص على الطريق الدولي جنوب بلدة النيرب في ريف إدلب الجنوبي رفضا لمرور عربات روسية في مناطقهم، واحتجاجا على عدم تضمن الاتفاق عودة النازحين.

وأودت الحرب بحياة 384 ألف شخص على الأقل بينهم أكثر من 116 ألف مدني، وفق حصيلة للمرصد السوري لحقوق الإنسان، وبين القتلى المدنيين أكثر من 22 ألف طفل. كما خلّفت عددا كبيرا من الجرحى والمعوقين عدا عن عشرات آلاف المعتقلين والمفقودين.

وبحسب الأمم المتحدة، نزح أكثر من ستة ملايين سوري داخل البلاد يقيم عدد كبير منهم في مخيمات عشوائية، بينما بات أكثر من 5.6 مليون سوري لاجئ في دول أخرى،لاسيما لبنان وتركيا والأردن.

من جهتها، أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) في بيان، الأحد، أن حوالي خمسة ملايين طفل ولدوا في سوريا منذ اندلاع النزاع قبل تسعة أعوام بالإضافة إلى مليون طفل آخر ولدوا في دول الجوار، فيما بلغت حصيلة الضحايا منهم حوالي تسعة آلاف بين قتيل وجريح.

وقالت المنظمة في بيانها إن "حوالى 4.8 مليون طفل ولدوا في سوريا منذ بداية النزاع قبل تسع سنوات ووُلد مليون طفل سوري لاجئ في دول الجوار".

وقال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش "يدفع المدنيون الثمن الأكبر" في سوريا حيث "لم يجلب عقد من القتال إلا الدمار والفوضى".

وفي مدينة الدانا في إدلب حيث تقيم مع عائلتها بعد محطات نزوح عدة، تقول والدة أربعة أطفال تدعى حلا إبراهيم (35 عاما) "تسع سنوات من الثورة كانت كافية لإيضاح عمق الألم الذي مرّ بنا من تهجير قسري ونزوح وقصف وشهداء".

وتضيف النازحة من مدينة حلب التي تعمل في متابعة ملف المفقودين "فقدنا كل شيء في لحظة واحدة. تركت جامعتي وعملي ومنزلي الذي قصف ولا أعلم حتى اللحظة شيئا عنه".

وألحقت الحرب دمارا كبيرا بالمنازل والبنى التحتية والمدارس والمستشفيات، واستنزفت الاقتصاد على وقع انخفاض قيمة الليرة مقابل الدولار بشكل غير مسبوق وارتفاع قياسي في أسعار المواد الاستهلاكية.

وترزح الفئة الأكبر من السوريين تحت خط الفقر، وفق الأمم المتحدة، في وقت يحتاج فيه ملايين الأشخاص إلى "الدعم لإعادة بناء حياتهم وموارد رزقهم"، وكذلك "للتعامل مع التداعيات النفسية والعقلية التي نجمت عما مروا به".

وفي مخيم للنازحين بريف إدلب الشمالي، تقول سهام عبص (50 عاما) "لم أر أصعب من هذه الأيام"، مضيفة "لماذا فعلوا بنا هذا؟ الثورة تعني أن نبقى في منازلنا لا أن نتشرّد. الطيران فوقنا وروسيا وإيران والدول كلها علينا".

مأساة إنسانية

وعلى مرّ سنوات، تحوّلت سوريا إلى ساحة تتبارز على جبهاتها جيوش دولية ضخمة، فيما ذهبت هتافات صدحت بها حناجر مئات الآلاف من أبنائها المنادين بإسقاط النظام بدءا من محافظة درعا جنوبا، أدراج الرياح.

وتنشط في سوريا اليوم خمسة جيوش نظامية على الأقل، غير المجموعات المحلية أو الخارجية الموالية لهذه الجهة أو تلك. ولكل قوة دولية أهدافها ومصالحها، حيث ينتشر إيرانيون من قوات "الحرس الثوري" ومقاتلون لبنانيون وعراقيون وقوات روسية بطائراتها وعسكرييها في مناطق سيطرة قوات النظام.

وتنتشر في شمال شرق البلاد قوات أميركية في مناطق سيطرة الأكراد، الذين أنشأوا إدارة ذاتية باتت مهددة بشدة بعد شنّ تركيا ثالث هجوم عسكري على مناطقهم العام الماضي. ولا تكفّ الطائرات الحربية الإسرائيلية عن اختراق الأجواء واستهداف مواقع للجيش السوري أو للمقاتلين الإيرانيين وحزب الله، وهدفها المعلن منع الإيرانيين من ترسيخ وجودهم.

وتسيطر القوات التركية على منطقة حدودية واسعة إثر هجمات عسكرية استهدفت خصوصا المقاتلين الأكراد.